الثقافة الاستراتيجية وسياسة الأمن القومي

Strategic Culture and National Security Policy

أ.م. **حسين باسم عبد الأمير**: قسم الدراسات السياسية، مركز الدراسات الإستراتيجية، جامعة كربلاء، العراق.

Hussain Basem Abdulameer: Department of Political Studies, Center for Strategic Studies, University of Karbala, Iraq.

Email: Hussain.b@uokerbala.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v5i8.1556

تاريخ الاستلام:	2025-06-03	تاريخ القبول:	2025-06-25	تاريخ النشر	2025-08-01

الملخص:

نشأ مفهوم الثقافة الاستراتيجية عند تقاطع التاريخ والجغرافيا والقيم والمعتقدات والسياسة، وظهر ليشرح سلوك الدولة على الساحة الدولية في توافق صارم مع السمات الوطنية. يُجسّد مفهوم الثقافة الاستراتيجية جوهر السلوك بين الدول، بالنظر إلى مجموعة التفضيلات التي تمتلكها هذه الدول في استخدام أداة أو أخرى من أدوات السياسة الخارجية. يُشتق مصطلح الثقافة الاستراتيجية من مصطلحي الاستراتيجية والثقافة، وبالتالي، فهو مزيج من كلا المصطلحين المتميزين في حد ذاتهما. ويشرح هذا البحث التطور النظري لمفهوم الثقافة الاستراتيجية، وكيف يمكن الاستفادة منه لفهم عملية صنع القرار الوطني في الدول. إن الثقافة الاستراتيجية هي منظور بديل في العلاقات الدولية ويسلط الضوء على القصور في الواقعية والواقعية الجديدة في تفسير كيفية تصرف الجهات الفاعلة عند مواجهة تهديد من جهة أخرى. يعتقد هذا المنظور أساسا أن العوامل الداخلية، كالنظام الجيوسياسي، والخبرة التاريخية الوطنية، والثقافة والأيديولوجيا السياسية، والثقافة العسكرية وعلاقتها بالمجتمع في دولة ما، يمكن أن تؤثر على الاستراتيجية العامة للدولة في الدفاع عن نفسها، وكيفية استجابتها للتهديد. ورغم ارتباطه الوثيق بالجانب العسكري، إلا أن منظور الثقافة الاستراتيجية لا يقتصر على طبيعة التهديدات الصادرة عن الدول فحسب. لذلك، يحاول هذا البحث في الإشارة إلى أهمية هذا المنظور في تفسير سلوك الدولة استجابةً للطبيعة الجديدة للتهديدات غير التقليدية الناشئة نتيجةً للعولمة والاستجابات الثقافية المعاكسة لها.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الاستراتيجية، التهديدات غير التقليدية، سلوك الدولة.

Abstract:

The notion of strategic culture emerged at the intersection of history, geography, values, beliefs, and politics, aiming to explain state behavior in the international arena in close alignment with national characteristics. It encapsulates the essence of interstate conduct, considering the range of preferences states hold when employing various tools of foreign policy. The term strategic culture is derived from the concepts of strategy and culture, making it a synthesis of two distinct domains. This paper traces the theoretical evolution of the concept of strategic culture and explores its utility in understanding national decision-making. It presents strategic culture as an alternative perspective in international relations, highlighting the shortcomings of realism and neorealism in explaining how actors respond to external threats. According to this perspective, a state's overall defense strategy and its responses to threats are shaped by internal factors such as the geopolitical system, national historical experience, political culture and ideology, military culture, and the military's relationship with society. Although closely tied to the military dimension, the strategic culture approach is not confined to state-based threats alone. Accordingly, this study emphasizes the relevance of strategic culture in interpreting state behavior in the face of emerging non-traditional threats resulting from globalization and the countercultural responses it provokes.

Keywords: Strategic culture, Non-traditional threats, State behavior.

المقدمة:

يقدم هذا البحث لمحة عامة عن الأهمية العلمية وأهمية صناعة السياسات للثقافة الاستراتيجية في العالم المعاصر. وقد تتحدى الثقافة الاستراتيجية وتثري الافتراضات الواقعية الجديدة السائدة فيما يتعلق بالاستراتيجية والأمن. كما توفر جسرا بين التفسيرات المادية والفكرية لسلوك الدولة، وتضيف وجهات نظر قيّمة لفهم خيارات السياسة الأمنية المعاصرة لمختلف البلدان.

يعتقد الكثير من المختصين أن الثقافة لها تأثير عميق على صنع القرار الاستراتيجي، وفي السنوات الأخيرة كان هناك اهتمام أكاديمي وسياسي متجدد باستكشاف دورها في الأمن الدولي. فقد بدأ العلماء والمختصون في دراسة قضايا العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة والصين وروسيا وإيران والتعاون الأمني الأوروبي والصراعات في الشرق الأوسط وسياسات مكافحة الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل من خلال عدسة الثقافة الاستراتيجية.

الثقافة هي "نمط تاريخي من المعاني المتجسدة في الرموز، ونظام من المفاهيم الموروثة المعبر عنها في شكل رمزي من خلاله يتواصل الرجال ويخلدون ويطورون معرفتهم ومواقفهم تجاه الحياة". ركّزت الدراسات المبكرة التي ربطت بين الثقافة والعمل الاستراتيجي على "الطابع الوطني" كمحصلة للغة والدين والعادات والتنشئة الاجتماعية وتفسير التجارب التاريخية المشتركة. وقد دمج بعض المختصين المناهج الثقافية في العلوم السياسية من خلال تحديد سمات أطلق عليها "الثقافة السياسية"، بما في ذلك قيم مثل المبادئ والمفاهيم الديمقراطية، والأفكار المتعلقة بالأخلاق واستخدام القوة، والاستعدادات تجاه دور الدولة في العالم. وقد صاغ "جاك سنايدر" مصطلح "الثقافة الاستراتيجية" للتركيز على العلاقة بين الثقافة والاستراتيجية النووية. وقد أدى ذلك إلى تطبيقات مهمة للثقافة الاستراتيجية في دراسة الردع.

إشكالية البحث:

إن الحجة التي نود أن نتقدم بها في هذا البحث هي أنه طالما كانت القدرات المادية أساسية لتفسير النتائج في السياسة الدولية التنافسية على نطاق واسع، إلّا أنه ومع ذلك، فإن الاعتراف بأهمية القدرات المادية الدائمة لا ينفي دور العناصر الفكرية المتأصلة في مفهوم الثقافة الاستراتيجية. ويرجع ذلك إلى أن طبيعة ووتيرة تراكم الأدوات المادية، وكيفية استخدامها –وخاصةً عندما تتجلى في شكل قدرات عسكرية– تتشكل من خلال إرث معرفي ربما يكون فريدا لكل دولة. وهو ما يحاول هذا البحث التحقق من صحته. وفي هذا السياق، سنحاول خلال هذا البحث الإجابة عن أهم الأسئلة ذات الصلة الجوهرية بإشكالية البحث، وهي كما يلي:

1– ما هو مفهوم الثقافة الاستراتيجية؟

2- ما هي مصادر الثقافة الاستراتيجية؟

3- ما هي أهمية الثقافة الاستراتيجية؟ ولماذا ينبغي علينا دراستها؟

4- هل تؤثر على السلوك الاستراتيجي بأي شكل من الأشكال؟

5- ما هي العوامل التي تؤثر على تكوين الثقافة الاستراتيجية الوطنية؟

6- كيف تؤثر الثقافة الاستراتيجية على سياسة الأمن القومي؟

أهداف البحث:

على الرغم من أنه يمكن استخدام الثقافة الاستراتيجية لمناقشة "معرفة العدو" و"معرفة الذات"، فإن هذا البحث سوف يركز على الأخيرة. والغرض من هذا البحث ليس ابتكار تعريف جديد ومحسن للمصطلح، بل اختبار بعض الفرضيات التي يمكن استخلاصها من التعريفات والافتراضات المقبولة عموما. ومن أجل القيام بذلك، سوف ننظر إلى "مخرجات" الاستراتيجية للدول من خلال عدسة "الثقافة الاستراتيجية الخاصة بها". وافتراضنا هو أنه إذا كانت هناك في الواقع ثقافة استراتيجية فريدة من نوعها لكل دولة، فإن "المجتمع الاستراتيجي" لتلك الدولة و"مخرجاته" تتأثر بالثقافة الاستراتيجية. إذ إن معرفة تحيزاتنا وتفضيلاتنا الاستراتيجية (إذا كانت موجودة) مفيدة لأي مخطط استراتيجي أو صانع سياسات أو مستشار.

هيكلية البحث:

ولغرض الإحاطة بموضوع البحث، فقد تم تقسيم محتوياته إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة: في المطلب الأول جرت مناقشة تعريف مفهوم الثقافة الاستراتيجية عبر متابعة الأدبيات العديدة التي تعرضت لتعريف ومناقشة المفهوم. في حين تم تخصيص المطلب الثاني لمناقشة والتحقق من ماهية مصادر الثقافة الاستراتيجية. بينما عكفنا خلال المطلب الثالث لأهمية الثقافة الاستراتيجية وتحققنا خلاله من رصد والتحقق من التأثير المهم للثقافة الاستراتيجية على السلوك الاستراتيجي للدول بشكل عام. أما المطلب الرابع والأخير فقد تم تخصيصه لمعرفة الدور الذي تلعبه الثقافة الاستراتيجية كعامل مُحدد في صنع سياسات الأمن القومي.

المطلب الأول: تعريف مفهوم الثقافة الاستراتيجية

إن نقطة البداية الجيدة تتلخص في استعراض العديد من التعريفات التي طرحت لمصطلح "الثقافة الاستراتيجية". ويبدو أن "جاك سنايدر"[1] هو الذي صاغ هذا المفهوم في دراسته التي أجراها في عام 1977 لصالح مؤسسة راند والتي تناولت الحرب النووية المحدودة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. وقد تم تعريف الثقافة الاستراتيجية، وفقا لسنايدر، على أنها "**مجموع الأفكار والاستجابات العاطفية المشروطة وأنماط السلوك المعتادة التي اكتسبها أعضاء المجتمع الاستراتيجي الوطني من خلال التعليم أو التقليد، والتي يتقاسمونها فيما بينهم فيما يتصل بالاستراتيجية النووية**". وفي هذه الدراسة، كان "سنايدر" يحاول أن يبين كيف يختلف تفكير الاستراتيجيين السوفييت والأميركيين بشأن الحرب النووية المحدودة. وبما أنه كان يدرس الاتحاد السوفييتي على وجه التحديد، فقد افترض أن هناك "أسلوبا سوفييتيا" متميزا في التعامل مع القضايا الاستراتيجية، وهو أسلوب مستمد من الثقافة الاستراتيجية السوفييتية. وباستخدامه لمصطلح "الثقافة"، كان يريد أن ينقل إلى القارئ أن هذا الأسلوب السوفييتي كان أكثر ديمومة من مجرد السياسة وأنه كان يؤثر على كل القرارات الاستراتيجية. وقد بذل "سنايدر" جهدا كبيرا في شرح حقيقة مفادها أن الثقافة الاستراتيجية لا تحدد مسبقا عملية اتخاذ القرار الاستراتيجي، ولكنه أشار إلى أن "المشاكل الجديدة لا يتم تقييمها بموضوعية. بل إنها تُرى من خلال العدسة الإدراكية التي توفرها الثقافة الاستراتيجية"[2].

في كتابه "الاستراتيجية والنزعة العرقية"، سلط "كين بوث"[3] الضوء على الحاجة إلى الوعي الثقافي في مجال الدراسات الاستراتيجية وصنع القرار. وقد زعم بشكل مقنع أن النزعة العرقية متوطنة في كل جوانب نظرية الاستراتيجية وممارساتها. وقد ذكر "إن النظريات الاستراتيجية لها جذورها في فلسفات الحرب التي تتسم بالنزعة العرقية، والاستراتيجيات الوطنية هي السلالة المباشرة

---

[1] – جاك لويس سنايدر هو عالم سياسة أمريكي، وأستاذ العلاقات الدولية في قسم العلوم السياسية ومعهد سالتزمان لدراسات الحرب والسلام بجامعة كولومبيا. تتمحور أبحاث سنايدر حول العلاقة بين العنف والحكومة. وهو معروف بإدخاله التمييز بين الواقعية الهجومية والدفاعية في أدبيات العلاقات الدولية في كتابه الصادر عام 1991 بعنوان "أساطير الإمبراطورية". وهو مؤلف كتب عديدة من بينها ""الثقافة الاستراتيجية السوفيتية. تداعياتها على العمليات النووية المحدودة (1977)". https://tinyurl.com/35sjz2m4

[2] – Moore II, R. A. (1998): Strategic Culture–How it affects strategic "outputs". Strategic Issues. P 8. https://tinyurl.com/6f5zcrx

[3] – كين بوث، هو مُنظّر بريطاني في العلاقات الدولية. وهو أول رئيس للجمعية البريطانية للدراسات الدولية. كان عضوًا في فريق تحرير مجلة "مراجعة الدراسات الدولية"، ويشغل حاليًا منصب المحرر الأكاديمي لسلسلة "دراسات لين رينر النقدية للأمن" ومجلة "العلاقات الدولية". https://tinyurl.com/4s8jmuxk

لفلسفات الحرب". ويشير إلى العديد من مخاطر النزعة العرقية في السعي إلى الاستراتيجية، بما في ذلك: 1) الميل إلى إدراك الأحداث من منظور المصلحة الشخصية فقط؛ 2) الميل إلى إسقاط ثقافة المرء على ثقافة أخرى عند التنبؤ بكيفية استجابته لحدث ما (التصوير المرآوي)؛ و3) الافتقار إلى التعاطف مع الأجانب مما يؤدي إلى عدم القدرة على فهم طموحات الآخر ومدى التهديد الذي قد يشعر به الآخر بسبب طموحات المرء. ويستكمل "بوث" حجته فيقترح أن الاستراتيجية الأفضل تتطلب استبدال المركزية العرقية والافتقار إلى الفضول تجاه الآخرين بالواقعية المتطورة والنسبية الاستراتيجية. ومن هذا المنظور، يدافع عن فائدة الثقافة الاستراتيجية كمفهوم. إذ أشار إلى "أن فهم الثقافة الاستراتيجية يشكل جزءًا أساسيًا من "معرفة عدوك"، وهو أحد المبادئ الأساسية للحرب. وهو يساهم في تقدير سلوك أمة أخرى وفقا لشروطها الخاصة، وهذه هي نقطة البداية لفهمها". كما يقدم بوث تعريفا للثقافة الاستراتيجية مفيدا لهذا التحليل، "**إن مفهوم الثقافة الاستراتيجية يشير إلى تقاليد الأمة وقيمها ومواقفها وأنماط سلوكها وعاداتها ورموزها وإنجازاتها وطرقها الخاصة للتكيف مع البيئة وحل المشاكل فيما يتصل بالتهديد باستخدام القوة أو استخدامها فعلا**". ويستمد تعريف بوث من البناء الأصلي الذي قدمه سنايدر، ولكنه يوسعه إلى ما هو أبعد من نطاق الاستراتيجية النووية. ويشير إلى أن المفهوم يعالج الأخطاء "غير التاريخية" التي يرتكبها نموذج الفاعل العقلاني في التحليل الاستراتيجي[1].

ومن بين الذين ساهموا بشكل كبير في تطوير الثقافة الاستراتيجية كمفهوم قابل للتطبيق "إسحاق كلاين"، و"أليستير إيان جونستون". ويتفق "كلاين" مع التعريف الذي قدمه "كين بوث" للثقافة الاستراتيجية، كما أن تعريف كلاين يضع المزيد من التركيز على الاستخدام العملي للقوة. على سبيل المثال، يعرف كلاين الثقافة الاستراتيجية بأنها: "**مجموعة المواقف والمعتقدات التي تعتنقها المؤسسة العسكرية فيما يتصل بالهدف السياسي للحرب والاستراتيجية الأكثر فعالية والطريقة العملياتية لتحقيقه**"[2].

وكذلك يعرف "أليستير جونستون" الثقافة الاستراتيجية بأنها: "**نظام متكامل من الرموز التي تحدد كافة التفضيلات طويلة الأمد بحيث تعمل على صياغة دور وفعالية القوة العسكرية في القضايا السياسية الدولية بحيث تبدو فريدة وفعالة**"[3].

---

[1] – Moore II, R. A., Op Cite. P 9.

[2]– عبد الله، علي ارحيم؛ وحميد، علي حسين. "الثقافة الاستراتيجية: الأصول النظرية ومقارباتها". مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العدد 78، ص338.

[3]– Orlická, J. (2016): Strategic culture as an important way of security. University of Matej Bel. p.8. https://tinyurl.com/3rznn8bh

كما يعرف "ستين راينينغ" الثقافة الاستراتيجية بأنها: "**عادة التفكير بطرق معينة، حيث يؤثر التطور التاريخي على فهم الشخص المعني لدوره في نظام ما. الثقافة الاستراتيجية هي المتغير المحدد الذي يؤثر على قرار الأشخاص المعنيين حيث لها أصلها الأنثروبولوجي في اللغة والدين والعادات والتنشئة الاجتماعية، وكذلك الأصل التاريخي. وتحدد الثقافة الاستراتيجية حدود ما يُعتبر سلوكا طبيعيا وتقترح عرض الأدوات السياسية الممكنة**"[1].

في حين يتحدث كريستوف ماير، الذي يتناول في المقام الأول موضوع الثقافة الاستراتيجية الأوروبية، عن أربعة متغيرات، وهي "**الهدف من استخدام القوة، والطريقة التي تستخدم بها القوة، وأسلوب التعاون المفضل، ومستوى التفويض المحلي والدولي**"[2].

أما "لونغهورست"، فقد عرّف الثقافة الاستراتيجية على أنها: "**حزمة مميزة من المعتقدات والمواقف والممارسات المتعلقة باستخدام القوة، التي يُؤمنُ بها جماعيًا، وتنشأ تدريجيًا مع مرور الوقت، عبر عملية تاريخية فريدة من نوعها قد يطول أمدها، فهنالك ثقافة إستراتيجية ثابتة على مر الزمن، على الرغم من أنها ليست سمة دائمة أو ثابتة، وهي تتشكل وتتأثر بالفترات التكوينية، ويمكن أن تتغير إما كليًا أو جزئيًا، كمحاولة لمعرفة أثر القيم عميقة الجذور والمعتقدات عندما يتعلق الأمر باتخاذ القرارات في المسائل الأمنية بشكل عام، فالأفكار الجماعية، والقيم حول استخدام القوة، هي العوامل التأسيسية المهمة في تصميم سياسات أمن الدول وتنفيذها**". وبذلك فقد قدم "لونغهرست" للثقافة الاستراتيجية فهما أصيلا، حيث إنها تقوم بإدخال عناصر نفسية وأنثروبولوجية ومجتمعية في الدراسة. لقد أشار إلى إن دور الثقافة الإستراتيجية مهم في كل مرحلة من مراحل الصراع. فهي تساعد في التغلب على الاتصالات والافتراضات الخاطئة، حيث تتمكن من تفسير السلوك الغريب وغير العقلاني الذي تحدده بكلمات مثل الكبرياء والخوف والأنانية والاعتراض وما إلى ذلك[3].

وفي نفس السياق، فقد قدّم "لورانس كوزنار" تعريفا للثقافة الاستراتيجية قائما على عناصر محددة تشمل العوامل الأيديولوجية، والعاطفية، والمعرفية، والتجريبية، والسلوكية ذاكرا: "**تتكون**

[1]– Ibid. p.8.

[2]– Ibid. Pp.8–9.

[3]– جبر، دينا محمد (2020): "الثقافة الاستراتيجية وتوجهات الأمن القومي للدولة: الثقافة الاستراتيجية الصينية أنموذجا، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مجلد 20، عدد 3، ص278. https://tinyurl.com/4fxcj73x

الثقافة الاستراتيجية لأي جهة فاعلة من معتقدات وخبرات وافتراضات ومواقف وسلوكيات نمطية تُشكل تصوراتها وتفضيلاتها بشأن مصالحها وأهدافها وأنشطتها المتعلقة بالأمن"[1].

وفقًا لـ"إيان جونستون"، إن الثقافة الاستراتيجية هي "بيئة تفكيرية تحد من خيارات السلوك" والتي تمكننا من التنبؤ حول الخيار الإستراتيجي الأمثل[2]. تتكون هذه البيئة من "افتراضات مشتركة وقواعد قرار تفرض درجة من النظام على مفاهيم الأفراد والجماعات لعلاقتهم ببيئتهم الاجتماعية أو التنظيمية أو السياسية". ويذكر جونستون أهمية النفوذ العسكري ومبدأ الاستراتيجية الكبرى في دراسة الثقافة. كما يجادل، **"الثقافة الاستراتيجية هي نظام متكامل من الرموز (مثل الحجج والهياكل واللغات والتشبيهات والاستعارات) يعمل على ترسيخ تفضيلات استراتيجية شاملة وطويلة الأمد من خلال صياغة مفاهيم حول دور وفعالية القوة العسكرية في الشؤون السياسية بين الدول، ومن خلال إضفاء هالة من الواقعية على هذه المفاهيم بحيث تبدو التفضيلات الاستراتيجية واقعية وفعالة بشكل فريد"**، وبالتالي، تتألف الثقافة الاستراتيجية كـ "نظام من الرموز" من جزأين: يتكون الجزء الأول من افتراضات أساسية حول نظام البيئة الاستراتيجية، أي حول طبيعة الخصم والتهديد الذي يشكله (مجموع صفري أو مجموع متغير) وحول فعالية استخدام القوة (حول القدرة على التحكم في النتائج والقضاء على التهديدات، والظروف التي تكون فيها القوة المطبقة مفيدة). يشكل هذان الجزآن معا النموذج المركزي للثقافة الاستراتيجية[3].

علاوة على ذلك، يأتي تعريف مفيد آخر من "كولن جراي" الذي يعرف الثقافة الاستراتيجية بأنها: **"الأفكار والمواقف والعادات العقلية والاجتماعية وأساليب العمل المفضلة المستمرة (وإن لم تكن أبدية) التي تنتقل عبر الأذهان، والتقاليد، والأساليب المفضلة للعمليات والتي تكون أكثر أو أقل تحديدا لمجتمع أمني قائم على أساس جغرافي معين كان له بالضرورة تجربة تاريخية فريدة"**[4]. ويقترح جراي أيضا أن: "الثقافة الاستراتيجية هي ضريبة تشير إلى البيئة العاطفية والسلوكية التي يعمل فيها مجتمع الدفاع. تتأثر الأفكار المتعلقة بالحرب والاستراتيجية بالجغرافيا

---

[1] – Kuznar, L. A., Heath, N., & Popp, G. (2023, August): Strategic culture – Its history, issues, and complexity. (Prepared for the Strategic Multilayer Assessment (SMA)). P.8. https://tinyurl.com/4uutftkm

[2] – قراري، رميساء؛ وحارك، فاتح، "أثر الفضاء السيبراني على تطوير وتوجيه الثقافة الإستراتيجية الروسية في البيئة الدولية". المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الإدارة والاقتصاد ونظم المعلومات، بعنوان التحول الرقمي وأثره على التنمية المستدامة، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة. ص3. https://tinyurl.com/yvbm582b

[3] – لعمراني، آسيا (2020): "الثقافة الاستراتيجية والأمن" كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر: السنة الجامعية: 2019–2020. ص28. https://tinyurl.com/mr2ub22p

[4] – المصدر السابق، ص27.

الطبيعية والسياسية –فبعض الثقافات الاستراتيجية لديها بوضوح، على سبيل المثال، ميل بحري أو قاري– بالأيديولوجية السياسية أو الدينية، وبالإلمام بتقنيات عسكرية معينة وتفضيلها. الثقافة الاستراتيجية هي عالم العقل والشعور وعادات السلوك". يتبنى "كارنز لورد" وجهة نظر مماثلة ويخلق نسخته الخاصة من الثقافة الاستراتيجية ليس فقط من حيث الممارسة العسكرية ولكن من حيث الخصائص الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية "المركزية المكونة للدولة". بالنسبة لـ"لورد"، كانت الثقافة الاستراتيجية هي "**الممارسات والعادات الفكرية التقليدية التي يُنظّم المجتمع من خلالها القوة العسكرية ويُوظّفها لخدمة أهدافه السياسية**". حدّد لورد ستة عوامل ساهمت في نشوء الثقافة الاستراتيجية: البيئة الجيوسياسية، والتاريخ العسكري، والعلاقات الدولية، والثقافة والأيديولوجيا السياسية، وطبيعة العلاقات المدنية العسكرية، والتكنولوجيا العسكرية[1].

ولاختتام هذه المناقشة حول تعريف الثقافة الاستراتيجية، نود أن نتعرض لتعريف نهائي، ونلقي الضوء على عناصر الثقافة الاستراتيجية المشتركة في مختلف الأدبيات. ففي أطروحته للماجستير بعنوان "في عين العقل: التأثير الثقافي في تحليل الدفاع والتخطيط الاستراتيجي"، قدم الملازم "كريستوفر ب. تشيس" من البحرية الأميركية تعريفا متميزا للثقافة الاستراتيجية يلخص أغلب عناصرها المهمة كما وردت في الأدبيات المتنوعة[2]:

> **وتعمل الثقافة الاستراتيجية كنظام قيمي يوفر الافتراضات والمعتقدات والمواقف التي يتبناها أعضاء أي مجموعة فيما يتصل باستخدام القوة كأداة سياسية في العلاقات الدولية. ونتيجة لهذا فإن الثقافة الاستراتيجية تعمل على توجيه وتحديد جوانب معينة من سلوك الأمن في أي دولة. وعلى وجه الخصوص، يُعتقد أن السياسات الأمنية والاستراتيجيات العسكرية التي تتبناها أي دولة (أو "المخرجات") تشكل وظيفة من وظائف الثقافة الاستراتيجية.**

وبناء على ما تقدم من التعريفات، تؤكد معظم الأعمال التي طورت مفهوم الثقافة الاستراتيجية على المحاور التالية: 1) تُقدم الثقافة الاستراتيجية منظومة قيم في سياق صنع القرار الاستراتيجي؛ 2) يعتنق مجتمع مُحدد منظومة القيم هذه؛ 3) "المخرجات" (السياسة الأمنية، العقيدة، وما إلى ذلك) لهذا المجتمع تتأثر بالثقافة الاستراتيجية.

---

[1]– Margaras, V. (2004). Strategic culture: A reliable tool of analysis for EU security developments. European Foreign Policy Conference Paper, LSE, P–p.4–5. https://tinyurl.com/54ecv3m7

[2]– Moore II. R. A., Op Cit. p.10.

المطلب الثاني: مصادر الثقافة الاستراتيجية

مصادر الثقافة الاستراتيجية هي كل العوامل والظواهر التي تخلق بتأثيرها منتجا نهائيا. وفقا للكثير من الباحثين، هي مصادر مادية وفكرية مثل الجغرافيا والمناخ والموارد، والتاريخ والخبرة، النظرة العالمية للنظام (الدين، الإيديولوجية، الثقافة، الأساطير والرموز)، العوامل الاقتصادية، والبنية السياسية وطبيعة المنظمات المعنية بالدفاع والهياكل السياسية الأخرى وأنماط صنع القرار[1].

أولًا، كانت الجغرافيا والمناخ والموارد عناصر أساسية في التفكير الاستراتيجي على مر العصور، وما تزال مصادر مهمة للثقافة الاستراتيجية حتى اليوم. قد يكون الظرف الجغرافي أحد مفاتيح فهم سبب تبني بعض الدول لسياسات استراتيجية معينة دون غيرها. إن جغرافية أي دولة (الحجم والموقع) تؤثر بشكل كبير على كيفية إدراكها للتهديدات الخارجية وصياغة الاستجابات لها. وعلى مدار تاريخها، مكّن حجم روسيا وطقسها وتضاريسها من تبني استراتيجيات دفاعية تستبدل المساحة بالوقت. من ناحية أخرى، لا تتمتع لبنان بهذه الرفاهية. لقد تمكنت بريطانيا العظمى، الدولة الجزرية، من الحفاظ على أمنها من خلال الحفاظ على أسطول بحري قوي وجيش بري صغير نسبيًا. ومن غير الحكمة أن تتبع فرنسا، القوة القارية التي لديها أعداء محتملون على حدودها، استراتيجية بريطانيا[2]. كذلك وعلى سبيل المثال، يُنظر إلى القرب من القوى العظمى كعامل مهم. في حالتي النرويج وفنلندا، على سبيل المثال، اضطرت الدولتان إلى توخي الحذر والحياد في بعض الأمور، لأن جارهما المباشر خلال الحرب الباردة كان الاتحاد السوفيتي. وقد أتاحت العزلة النسبية لدول مثل أستراليا التركيز على الدفاع القاري في الماضي. بالإضافة إلى ذلك، في حين تُسوى معظم الحدود الإقليمية عن طريق التفاوض، فإن حدودا أخرى تُشكل من خلال الصراعات ولا تزال موضع نزاع. لدى بعض الدول حدود متعددة، وقد تواجه معضلات أمنية متعددة. ويبدو أن هذه العوامل قد شكلت التوجهات الاستراتيجية لدول مثل كوريا الجنوبية (جمهورية كوريا). إذ تعاني كوريا الجنوبية من انعدام الأمن نتيجةً لقربها الجغرافي من خصمها، كوريا الشمالية (جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية)، وكذلك من منافسيها الإقليميين، اليابان والصين. كما يُعدّ ضمان الوصول إلى الموارد الحيوية أمرا بالغ الأهمية للاستراتيجية، ويبدو هذا العامل، وغيره، بالغ الأهمية في ظلّ تغير المشهد العالمي للإقليم والموارد اليوم[3].

---

[1] – Orlická, J., Op. Cit., P.9.

[2] – Moore II, R. A., Op, cite., p.12.

[3] – Lantis, J. S., & Howlett, D. (2019). Strategy in the contemporary world. 6th ed., Pp. 93–94, Oxford University Press.

يُعد التاريخ والخبرة من الاعتبارات المهمة في تطور الثقافة الاستراتيجية، وقد حددت نظرية العلاقات الدولية عدة طرق لتصنيف الدول، بدءًا من الضعيفة إلى القوية، ومن الاستعمارية إلى ما بعد الاستعمارية، ومما قبل الحداثة، والحديثة، إلى ما بعد الحداثة. وهذا يثير احتمال أن تواجه أنواع مختلفة من الدول مشاكل استراتيجية مختلفة، وبموارد مادية وفكرية متفاوتة، تطبق استجابات فريدة. بالنسبة للدول حديثة التكوين، يمكن لصعوبات بناء الأمة أن تفاقم انعدام الأمن، وبالتالي تساعد في تشكيل الهويات الثقافية الاستراتيجية. وعلى العكس من ذلك، بالنسبة للدول ذات المكانة العريقة، قد يدفع طول عمر وجودها إلى النظر في العوامل التي تساهم في صعود وسقوط القوى العظمى أو الحضارات وتشكيل سياساتها بما يتناسب معها[1]. ويفترض إسحاق كلاين جزئيا أن الثقافة الاستراتيجية هي نتيجة للدروس التي يقرر المجتمع أن تاريخه المتكشف ينبغي أن يعلمها. ويزعم كلاين أن محاولة وضع قائمة عامة تحدد مصادر الثقافة الاستراتيجية هي ممارسة عقيمة، لأن "كل ثقافة استراتيجية فريدة من نوعها، ولها مصادر فريدة"[2].

إن التجربة التاريخية التي تعيشها أي أمة غالبا ما توضح المزايا النسبية أو العيوب التي قد تترتب على موقعها الجغرافي، وهذه التجربة التاريخية لها تأثير عميق على صياغة الاستراتيجيات[3]. إن قدرة روسيا الجغرافية على مقايضة الأرض بالوقت كانت لتظل مجرد نظرية لو لم تتعرض للغزو في عدد من المناسبات من قِبَل جيران أوروبيين عدوانيين، وتشكل رغبة الاتحاد السوفييتي السابق في إقامة دول عازلة مظهرا من مظاهر ذاكرتها[4].

يرى بعض الباحثين أن التغير الجيلي والتكنولوجيا، وخاصةً تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، يمكن أن يكون لهما تداعيات مهمة على قضايا التمكين والنطاق الاستراتيجي، فبينما أحدثت تكنولوجيا المعلومات تحولات في المجتمعات، فإنها أتاحت للأفراد والجماعات التواصل بطرق مبتكرة، وتسببت بالاضطراب في المسافات. وقد تُمكّن هذه التكنولوجيا، وغيرها، هويات الأفراد والجماعات بطرق لم يسبق لها مثيل في التاريخ[5].

مصدر آخر للثقافة الاستراتيجية هو طبيعة النظام السياسي للدولة والأجهزة الدفاعية. تتبنى بعض الدول أسلوب حكم ديمقراطي ليبرالي غربي على نطاق واسع، بينما لا تفعل دول أخرى ذلك، بعضها يُعتبر ديمقراطيات ناضجة، بينما يمر البعض الآخر بتحولات ديمقراطية. وفيما يتعلق

---

[1] – Ibid., p.94.

[2] – Moore II, R. A., Op. cit., p.11.

[3] – لعمراني، مصدر سبق ذكره، ص40.

[4] – Moore II, R. A., Op. cit., p. 12.

[5] – Lantis J. S., & Howlett, D., Op. cit., p. 94.

بالآخرين، قد تكون هناك متغيرات ثقافية مثل الولاءات القبلية أو الدينية أو العرقية التي تعمل داخل الحدود الإقليمية وعبرها، والتي تحدد وتيرة وعمق التضامن بين السكان. وبالمثل، يعتبر الكثيرون المنظمات الدفاعية حاسمة للثقافات الاستراتيجية، لكنهم يختلفون حول التأثير الدقيق لهذه المنظمات[1].

إن الدين والأيديولوجيا والثقافة تشكل النظرة العالمية لنظام دولة ما، وتؤثر هذه العوامل على التحيزات الاستراتيجية للنظام، وكثيرا ما تكون محورية في دوافعه، فالأيديولوجية التي أشعلت الصراع الطبقي في فرنسا كانت الدافع والمحرك لاستراتيجية نابليون في سعيه إلى غزو أوروبا. أما سعي هتلر إلى إيجاد مساحة حيوية (بتوجيه من فلسفته الآرية) فقد دفعه إلى غزو روسيا[2].

تُعتبر الأساطير والرموز جزءا من جميع التجمعات الثقافية، ويمكن لكليهما أن يعمل كعامل استقرار أو زعزعة في تطور الهويات الثقافية الاستراتيجية. يمكن أن يكون لمفهوم الأسطورة معنى مختلف عن الفهم التقليدي "كشيء لا أساس له أو زائف". كتب جون كالفرت أن هذا يمكن أن يشير إلى "مجموعة من المعتقدات التي تعبر عن القيم السياسية الأساسية، اللاواعية أو المفترضة إلى حد كبير، لمجتمع ما باختصار، كتعبير درامي عن الأيديولوجيا". في الوقت نفسه، تؤثر السرديات التاريخية أيضا على مفاهيم أدوار الدولة[3].

تشير الدراسات ذات الصلة بالرموز أيضا إلى أن هذه الرموز تعمل كـ "أشياء معترف بها اجتماعيا ذات فهم مشترك إلى حد ما"، و"توفر للمجتمع الثقافي نقاطًا مرجعية مستقرة للفكر والعمل الاستراتيجي". تُظهر الاضطرابات السياسية والهجمات الإلكترونية في إستونيا في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مدى قوة الرموز. فقد اندلعت اضطرابات بسبب قرار إستونيا بنقل نصب تذكاري للحرب السوفيتية من وسط العاصمة تالين إلى مقبرة عسكرية. بالنسبة لروسيا والسكان ذوي الأصول العرقية الروسية في إستونيا، كان للتمثال قيمة رمزية تتعلق بالتضحية التاريخية في الحرب العالمية الثانية؛ على النقيض من ذلك، بالنسبة لإستونيا، كان يمثل رمزا للاحتلال الماضي. أدت الاحتجاجات والهجمات الإلكترونية الناتجة عن ذلك والتي شنتها الفئات ذات الأصول العرقية الروسية إلى إحداث شرخ عميق بين سكان البلاد[4].

إن العوامل الاقتصادية قد تكون حاسمة عند وضع الاستراتيجية؛ فقد شكلت القوة الاقتصادية للولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الأولى، ولا سيما خلال الحرب العالمية الثانية، عاملا رئيسًا

[1] – Ibid., p. 94.

[2] – Moore II, R. A., Op cite., pp. 12–13.

[3] – Lantis, J. S., & Howlett, D., Op. cit., p. 94.

[4] – Ibid. pp. 94–95.

في ترجيح كفة الحلفاء. والواقع أن سياسة روسيا خلال العقود المتأخرة –إلى ما قبل ضم شبه جزيرة القرم والحرب الروسية الأوكرانية– تمثلت في تبني استراتيجية ركزت على ترسانتها النووية بحيث تسنى لها تحويل الأموال من الإنفاق الدفاعي إلى تعزيز اقتصادها، وهذا يذكرنا بفلسفة الدفاع التي تبنتها الولايات المتحدة في خمسينيات القرن العشرين[1].

المطلب الثالث: أهمية الثقافة الإستراتيجية

ولكن لماذا ينبغي لنا أن ندرس الثقافة الاستراتيجية؟ أولا، يساعد فهم تأثيرات الثقافة الاستراتيجية في تقليص تأثير المركزية العرقية على صياغة الاستراتيجية وحسابها. وسوف يتم استبدال ميلنا الخاص إلى تصوّر معكوس مدفوع بالفضول حول معرفة نظرة العدو للعالم وأهدافه والتهديدات المتصورة. وهذا من شأنه أن يمكننا ويساعد في معرفة عدونا حقا. وثانيا، وهو مرتبط بالأول، يسلط هذا المفهوم الضوء على أهمية التاريخ، ويدفعنا إلى طرح الأسئلة الصحيحة حول الدوافع، والصورة الذاتية، وأنماط السلوك لأنفسنا وللآخرين. وثالثا، يمنحنا هذا المفهوم نظرة ثاقبة حول التفاعل بين السياسة الداخلية والبيئة الأمنية الخارجية. إن نظام القيم في المجتمع الاستراتيجي يؤثر على صياغة السياسة الأمنية التي يتم تنفيذها في البيئة الأمنية الخارجية. وتساعدنا الثقافة الاستراتيجية في تحديد نظام القيم هذا وتحديد المجتمع ذي الصلة الذي يحمله. وأخيرا، وهو الأكثر صلة بهذا البحث، فإن فهم مفهوم الثقافة الاستراتيجية يعزز الوعي الذاتي، وينبه إلى مخاطر الجمود القائم على مقولة: "هذه هي الطريقة التي اعتدنا على القيام بها"، وكذلك مخاطر التفكير الجماعي في صياغة السياسات وصنع القرار. وباختصار، يمكن تطبيق تحذير كين بوث على النحو الآتي[2]:

> "وما دام البعد السياسي الثقافي مهملا، فسوف يستمر المحللون في تطوير نظريات لا تتناسب مع الحقائق، واستخدام كلمات لا تتناسب مع السلوك الذي من المفترض أن يصفوه، واقتراح سياسات قد يكون لها معنى أكبر في قاعة ندوات منها في العالم الخارجي".

تفترض العديد من الدراسات أن الثقافة الاستراتيجية مهمة بقدر ما تُشكّل العنصر غير الملموس في سياق شامل يُشكّل كيفية فهم النخب الوطنية الرئيسة، وخاصةً صناع القرار في البلدان لبيئتهم الاستراتيجية والقيمة والغرض والاستخدام والقيود المنسوبة إلى قوة دولهم الوطنية – بما في ذلك استخدام القوة القسرية– في السياسة التنافسية. في الواقع، تُشكّل الثقافة الاستراتيجية

[1] – Moore II, R. A., Op. cit., p. 13.

[2] – Ibid., pp. 13–14.

النتائج من خلال "توفير القيم النهائية التي يُوجَّه نحوها العمل" و"تشكيل ذخيرة" أو "مجموعة أدوات" من العادات والمهارات والأساليب التي يبني الناس منها "استراتيجيات العمل". تنتقل هذه الأطر المعرفية عبر الزمن لمجرد استمرار صمود الأمة، مع أنه من المرجح أن يلعب النقل الاجتماعي الواعي أيضا دورا حاسما في العديد من المجتمعات الحديثة، وبالتأكيد في جميعها. وبالتالي، فإن جميع الأمم، بحكم وجودها، تمتلك ثقافة استراتيجية، والفرق الوحيد بينها هو درجة الوعي بإرثها الفكري، ومدى التروي الذي يميز إعادة إنتاجه، ومدى حساسية تطبيقه على السياسة. لذا، يتطلب دراسة الثقافة الاستراتيجية لأي أمة الاهتمام بأساليب التمثيل الرسمية وغير الرسمية، بما في ذلك التركيز على الأقوال والأفعال، بالإضافة إلى جميع المفاهيم الضمنية والصريحة الأخرى[1].

على الرغم من هذه النظرة الشاملة للثقافة الاستراتيجية، إلا أن الفرضية الأساس التي يقوم عليها هذا البحث تبقى مادية في جوهرها، إذ تفترض أن القدرات الملموسة ما تزال أساسية لتفسير النتائج في السياسة الدولية التنافسية على نطاق واسع. ومع ذلك، فإن الاعتراف بأهمية القدرات المادية الدائمة لا ينفي دور العناصر الفكرية المتأصلة في مفهوم الثقافة الاستراتيجية. ويرجع ذلك إلى أن طبيعة ووتيرة تراكم الأدوات المادية، وكيفية استخدامها –وخاصةً عندما تتجلى في شكل قدرات عسكرية– تتشكل من خلال إرث معرفي ربما يكون فريدا لكل دولة.

إن التعامل مع الثقافة الاستراتيجية كإطار فكري سابق منهجيا –وإن لم يكن بالضرورة ثابتا– يُساعد صانعي القرار على تفسير بيئتهم الأمنية، ويعد أمرًا أساسيًا لفهمٍ سليمٍ لكيفية اتخاذ المسؤولين في الدول قراراتهم بشأن إنتاج القوة الوطنية وتطبيقها والغايات التي قد تُوجَّه إليها[2].

وهكذا، تُعدّ الثقافة الاستراتيجية، في الحد الأدنى، جزءًا من توصيف الأفعال الوطنية، بما يُسهم في معالجة السؤال الذي طرحه كولن غراي: "ماذا يعني السلوك المُلاحظ؟". وفي أقصى درجات طموحها، قد تُتيح الثقافة الاستراتيجية إمكانياتٍ لتفسير سلوك الدولة، أو حتى التنبؤ به، بالطريقة المُرادة من خلال تغطية نماذج القانون للمعرفة العلمية[3].

يدور النقاش الأساسي حول الثقافة الاستراتيجية حول مدى أهميتها. ما هي –إن وُجدت– فائدتها؟ وهل تؤثر على السلوك الإستراتيجي بأي شكل من الأشكال؟ من المثير للاهتمام وجود انقسام حول هذه المسألة بين الباحثين الذين يدرسون الصين وآخرين يدرسون روسيا. فوفقا لتحليل

[1] – Tellis, A. J., Szalwinski, A., & Wills M. (2016). Understanding strategic cultures in the Asia–Pacific. The National Bureau of Asian Research. P. 7. https://tinyurl.com/34urvr2b

[2] – Ibid., p. 8.

[3] – Ibid., pp. 8–9.

جونستون للثقافة الاستراتيجية الكونفوشيوسية الصينية القديمة، فإن الثقافة الاستراتيجية الوطنية الصينية القديمة رمزية ولا تُؤثر كثيرا على السلوك الاستراتيجي للدولة. وعلى النقيض من ذلك، يسلط محللو الثقافة الاستراتيجية الروسية الضوء مرارا وتكرارا على أهميتها، حيث يرسمون روابط واسعة النطاق بين المكونات الحاسمة، مثل التاريخ والجغرافيا والأرثوذكسية الروسية وصنع القرار المركزي للسياسة الاستراتيجية لموسكو من روسيا الإمبراطورية إلى الوقت الحاضر[1].

تشير مراجعة العديد من الدراسات التي ركزت على تحديد وظيفة الثقافة الاستراتيجية إلى أن الثقافة الاستراتيجية تعمل على ما يلي[2]:

- التأثير على التفكير وصنع القرار: في الواقع، تُعد هذه الوظيفة الأكثر شيوعا المنسوبة إلى الثقافة الاستراتيجية، كما أنها "توجه وتُحدد الفكر في المسائل الاستراتيجية"، وكذلك فهي "تُشكل الإدراك التنظيمي".
- صياغة القضايا: يطرح باحثو الثقافة الاستراتيجية أيضا كيف تؤثر الثقافة الاستراتيجية على صياغة القضايا والأحداث – كيفية إدراكها وكيفية تبرير الإجراءات.
- تبرير الإجراءات المتخذة: وفقا لعدد من العلماء والمختصين، فإن الثقافة الاستراتيجية هي بناء سردي يُستخدم لإقناع الجماهير والحلفاء بالموافقة على خدائع النخبة السياسية المهيمنة. فنجد أن بعضهم يجادل بأنه على الرغم من أن الثقافة الاستراتيجية ليست التأثير الأساسي على السلوك الاستراتيجي، إلا أنها تُستخدم مع ذلك لتبرير السلوك الاستراتيجي وعقلنته للجمهور العام. على سبيل المثال، فإن الثقافة الاستراتيجية يمكن أن تُستخدم لتبرير بعض الإجراءات على أنها مقبولة وتمييزها عن الإجراءات التي تُعتبر منحرفة أو محرمة، مثل استخدام الأسلحة النووية.
- توفير المعنى والسياق: الوظيفة الأخيرة المنسوبة إلى الثقافة الاستراتيجية هي أنها توفر فهما سياقيا لسبب حدوث الأشياء. إذ يدافع عدد من المختصين في فهم "الثقافة الاستراتيجية كسياق". ويجادل أولئك المختصين بأن الثقافة الاستراتيجية كأداةٍ تُفسّر من خلالها الجهات الفاعلة أحداث التاريخ، والآثار المترتبة على الجغرافيا، والمعاني التي تُسندها للقضايا الاستراتيجية. كما يفترضون بأن الثقافة الاستراتيجية كأداةٍ تُمكّن المحللين من استخدامها لتفسير أسباب اتخاذ المسؤولين لهذه القرارات أو تلك.

[1] Kuznar, L. A., Heath, N., & Popp. G., Op. cit., P. 10.

[2] Ibid., P.10.

ومن ثم، تتجلى أهمية الثقافة الاستراتيجية في كونها تمثل الوسيلة التي تعكس كيفية تحليل وفهم سلوك الدولة العسكري على مستوى العلاقات الدولية، إذ يمكن من خلالها فهم الديناميكيات المعقدة التي تحكم سلوك الدول، وتحديد العوامل التي تؤثر في اعتماد استراتيجيات وتوجهات معينة ضمن سياق تاريخي أوسع لبعض الدول، وبالتالي التنبؤ بسلوك الدولة بشكل أفضل. فالثقافة الاستراتيجية ليست عقيدة ولا عملية توجيهية يمكن من خلالها النظر إلى الماضي أو المستقبل. إنها أداةٌ فعّالةٌ لفهم كيف، وتحت أي ظروف، تُحدِّد الدولة الوسائلَ والغاياتِ المناسبةَ لتحقيق أهدافها الأمنية، كما يُمكن للثقافة الاستراتيجية أن تُفسِّر طبيعةَ التغيير في تصورات الدول داخل النظام الدولي[1].

باختصار، يرى معظم الباحثين أن للثقافة الاستراتيجية تأثيرا على التفكير واتخاذ القرارات والإدراك، بالإضافة إلى دورها في تبرير الإجراءات المتخذة. كما أنها تُوفر للجهات الفاعلة تفسيرات ذات مغزى، وللمحللين وسيلةً لفهم السلوك الاستراتيجي لجهة فاعلة أخرى بشكل أعمق.

المطلب الرابع: الثقافة الاستراتيجية كعامل مُحدد لسياسة الأمن القومي

يتناول هذا المطلب المعنى الأساسي للثقافة الإستراتيجية كظاهرة وأهميتها في صنع سياسات الأمن القومي. أتاحت مراجعة الأدبيات الأكاديمية في المطلب الأول بتقديم تعريف لمصطلح "الثقافة الاستراتيجية" متعدد الأبعاد وإعطاء مخطط للعوامل الرئيسية التي تؤثر على تطوير الثقافة الاستراتيجية الوطنية. وبالتالي، يُنظر إلى الثقافة الاستراتيجية باعتبارها نواة للتفكير الاستراتيجي الذي يشكل أساس التخطيط الاستراتيجي للدولة والذي يتيح صنع سياسات الأمن القومي المتكاملة.

تعمل الثقافة الإستراتيجية على ضبط سياسات الأمن القومي تجاه طيف واسع من المهددات الأمنية وتسعى إلى ضبط سياسات الردع وأسلحة الدمار الشامل والحروب الوقائية والاستباقية. وبالتالي، تُعّد القاعدة الفكرية والثقافية التي يمكن أن تساعد الباحثين وصناع القرار على فهم وتحليل سياسات الأمن القومي، وتوقع نوايا الدول الأخرى في المستقبل[2].

لقد بُذلت محاولات لتوضيح الخصائص الرئيسة للثقافة الإستراتيجية، مع الأخذ بعين الاعتبار تشكيل وتطور عقليات الشعوب في التطور القومي. وفي الوقت نفسه، تؤخذ العوامل الإقليمية والجغرافية والتاريخية والحضارية الرئيسة التي تؤثر على تطور الهويات الوطنية في الدول الحديثة في الاعتبار. كما ينبغي تسليط الضوء بما فيه الكفاية على المشاكل والعقبات الرئيسة التي

[1] – لعمراني، مصدر سبق ذكره، ص3.

[2] – الزبيدي، فوزي حسن (2019): "الثقافة الإستراتيجية؛ طرق استخدام القوة لحماية الأمن القومي، "دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر. https://tinyurl.com/yc5cwwxx

تعترض مواصلة تطوير الثقافات الاستراتيجية. ومن المهم التركيز بشكل رئيسي على حقيقة أن الافتقار إلى ثقافة استراتيجية متجانسة هو أحد الأسباب الحاسمة للسياسة الخارجية غير المتوازنة لأي دولة، الأمر الذي يخلق بدوره تهديدا كبيرا للأمن القومي للدولة[1].

إن تشكُل الثقافة الاستراتيجية يجب أن يكون جزءا لا يتجزأ من عملية تطوّر الدولة الرشيدة، لأن الثقافة الاستراتيجية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمهام الأساسية للدولة، مثل الأمن، والدفاع، والحفاظ على السيادة، وحمايتها. وهكذا تصبح الثقافة الاستراتيجية العامل الأكثر أهمية في تحديد سياسة الأمن القومي[2].

يُفهم من الثقافة الاستراتيجية عموما أنها تعني مجموعة من المفاهيم الموروثة والمتشكلة تاريخيا، والمعتقدات المشتركة التي تشكل الهوية الجماعية للشعب، والقيم التي تحدد مصالح الدولة، والأعراف. وهي تؤثر على اختيار الدولة للوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق الأهداف الوطنية، وتشكل هذه المكونات العوامل الرئيسة التي تؤثر على سلوك الدولة على الساحة العالمية[3].

وبالتالي، فإن مفهوم الثقافة الاستراتيجية يمكن أن يقدم تفسيرا –يُعتد به– لسلوك الدولة، بما في ذلك أسلوب الإدارة العامة وحتى أساليب تطوير الاستراتيجيات الوطنية.

وفي الواقع، تشكل الثقافة الاستراتيجية جزءًا لا يتجزأ من الأمن القومي، وهي الأساس الذي ينبغي أن ترتكز عليه القرارات والخطط الاستراتيجية الرئيسة في مجال الأمن القومي. إن الثقافة الإستراتيجية تجعل من الممكن تجنب عدم التنظيم والتناقض في السياسة الحكومية. إن الافتقار إلى ثقافة استراتيجية متماسكة في بلد ما هو أحد أهم أسباب ضعف وعدم توازن سياسة الأمن القومي ومكونها الأساسي –السياسة الخارجية– والتي بدورها تخلق تهديدا كبيرا لمزيد من تطور الدولة[4].

وفي هذا السياق، اعتبر "كولن جراي" الثقافة الإستراتيجية كأحد العوامل التي تحدد الخيارات السياسية والنتائج المترتبة عليها، أي أن كولن جراي اعتقد أن أي فعل يتأثر بسياق ثقافي معين. واستشهد بـ"سنايدر"، فقد لاحظ جراي أن الثقافة الاستراتيجية تنبع من عوامل جيوسياسية وتاريخية واقتصادية وعوامل فريدة أخرى. ورأى أن الثقافة تحتوي على أفكار وآراء وتقاليد دائمة خاصة

[1]– Mitręga, A., & Kozub, M. (2019): The Influence of strategic culture on shaping security policy. Security and Defence Quarterly. P. 47. https://tinyurl.com/mrxrebs4

[2]– Ibid., P. 47.

[3] – Ibid., P. 51.

[4] – Ibid., P. 47.

ومميزة لمجتمع أمني معين، والذي يمتلك بالضرورة تجربة تاريخية فريدة. بالإضافة إلى ذلك، قد تتغير الثقافات الاستراتيجية بمرور الوقت، وإن كان ذلك ببطء[1].

وقد دحض هذه الأطروحة فيما بعد عالم السياسة الأمريكي جيفري لانتيس. وعلى وجه الخصوص، فقد زعم أن الثقافة الاستراتيجية يمكن إعادة صياغتها في فترة قصيرة من الزمن بسبب الصدمات الدرامية (الثورات والحروب والكوارث الاقتصادية) – "الصدمات الاستراتيجية"، والتي يتم من خلالها تشويه النظام القائم على مجموعة من القيم والمعايير والمعتقدات وتقويضه[2].

كما اقترح "أليستار جونستون" في عمله "تأملات حول الثقافة الاستراتيجية"، إعادة صياغة مفهوم "الثقافة الاستراتيجية"، التي عرّفها بأنها نظام شامل من الرموز التي تخلق "مزايا استراتيجية" مستدامة وطويلة الأمد بطريقة تشكل أفكارا أساسية حول دور وفعالية القوة العسكرية في العلاقات بين الدول[3].

وهكذا، تحتوي الثقافة الاستراتيجية على نظام من القيم، على أساسه يتم اتخاذ القرارات في مجال الأمن القومي والسياسة الخارجية، وتتشكل وجهات النظر حول العالم، والسياسة الخارجية، والجيش، والحرب، والتحالفات مع البلدان الأخرى، والتهديدات الجديدة والقديمة.

ومن ثم، من الممكن تحديد العوامل التي تؤثر على تكوين الثقافة الاستراتيجية الوطنية، بما يأتي[4]:

1) **العوامل الإقليمية والجغرافية:** الموقع الجغرافي الاستراتيجي للبلاد (حجم وتكوين الإقليم الأرضي، والخصائص الطبيعية والجغرافية للحدود، والموقع بالنسبة لإمدادات النقل الدولية الرئيسية، ومجموعة الظروف الطبيعية)؛ – توافر الموارد الطبيعية وإمكانية الوصول إليها.

2) **العوامل التاريخية:** وجود تجربة تاريخية للمشاركة في الحروب (التوسعية/التحررية الوطنية/ والثورات).

[1] – Kuznar, L. A., Heath, N., & Popp, G., Op. cit., P.10.

[2] – Ibid. P.10.

[3] – Tellis, A. J., Szalwinski, A., & Wills, M., Op. cit., pp. 18–19.

[4] – Hrytsenko, A. (2020). Strategic culture as a national security policy determinant: Ukraine's strategic culture key characteristics. Strategic Panorama, P. 15. https://tinyurl.com/3adpcvtd

3) **العوامل السياسية والمؤسسية:** (شكل النظام السياسي والحكومة وبنية الدولة، درجة فعالية النظام السياسي، طبيعة النظام الحزبي ووجود التعددية السياسية، مكانة البلاد في نظام العلاقات الدولية).

4) **العوامل العسكرية الاستراتيجية:** (مستوى القدرة القتالية والاستعداد القتالي للقوات المسلحة، مستوى تطور المجمع الصناعي العسكري، فعالية نظام تدريب الكوادر العسكرية).

5) **العامل العرقي:** (مستوى التجانس والانتماء الوطني للبلاد، وجود وطبيعة الصراعات العرقية الداخلية، مدى انسجام الهويات الإثنية الرئيسية لتقرير المصير الوطني في بلد متعدد الإثنيات).

6) **العوامل الدينية/الروحية:** (الأديان والطوائف الرئيسية ومكانها ودورها في النظام السياسي للبلاد، درجة الوحدة الإيديولوجية للأمة ومدى إيمانها بوجود "فكرة الدولة"، والخصائص الوطنية والنفسية لسكان البلاد).

وتشكل هذه العوامل الهوية الوطنية والنظرة العالمية، والتي تشكل مع التقاليد والعادات والأعراف مجموعة من المصالح والتفضيلات. إن النظرة العالمية تخلق نوعًا من التفكير الذي يميز، على وجه الخصوص، الفرد والشعب ككل. إن التفكير على مستوى الدولة يتجلى في التفكير الإستراتيجي الذي تكون نتيجته اتخاذ القرار الإستراتيجي المناسب، وينعكس التفكير الاستراتيجي في السلوك ويؤثر على صياغة المصالح الوطنية وعمليات صنع القرار وتحديد الأهداف والاستجابة لمواقف الأزمات. وهذا يعني أن التفكير الاستراتيجي هو أساس نظام التخطيط الاستراتيجي للدولة، والذي بفضله تبني الدولة الاتجاهات الرئيسة لسياسة الأمن القومي. وبعبارة أخرى، فإن نوعًا معينًا من التفكير يؤثر على نمط سلوك معين، وهو ما يشكل تجسيدًا للثقافة الاستراتيجية[1].

لذلك، فإن الثقافة الاستراتيجية هي نموذج للسلوك يرتكز على نوع معين من التفكير والنظرة العالمية والتقاليد المميزة لمجتمع أمني محدد جغرافيا، متأصل في المؤسسة السياسية للدولة المسؤولة عن تحديد أهداف الأمن الوطني، وتطوير الاستراتيجيات لتحقيقها، وتنفيذ هذه الاستراتيجيات.

من الناحية النظرية، يعتبر حاملو الثقافة الاستراتيجية للدولة هم الشعب والنخبة السياسية في آن واحد، والتي تلعب أيضا دور المرشد الذي ينقل الثقافة الاستراتيجية الوطنية إلى الساحة السياسية العالمية. ومع ذلك، مع الأخذ في الاعتبار افتراضات المنظرين في مجال الدراسات

[1] – Kuznar, L. A., Heath, N., & Popp, G., Op. Cit. p. 7.

الثقافية والأمنية بأن الثقافة الاستراتيجية تتطور، فضلاً عن الأخذ في الاعتبار مثل هذه الاتجاهات الكبرى للتنمية العالمية، مثل: العولمة، وطمس الحدود الوطنية، وتآكل السيادة، وعولمة تدفقات الهجرة. يمكن القول، إن الحامل الرئيسي للثقافة الاستراتيجية هو النخبة السياسية في البلاد. إنها النخبة التي تلتزم بمبادئ الخلافة والثبات في مجال الأمن الوطني وتلعب دور الحارس للتقاليد السياسية الوطنية.

أخيرا، تدخل كل دولة الساحة الدولية وهي تحمل في جعبتها الخاصة من الخبرة التاريخية المتراكمة، والمعتقدات، والتأثيرات الثقافية، والقيود الجغرافية والمتعلقة بالموارد. وهذا يؤثر على سلوكها، وبالتالي يخلق أساسا لتحليل الإجراءات المحتملة للنخب الحاكمة. وفي نهاية المطاف، تصبح الثقافة الاستراتيجية العامل الأكثر أهمية في تحديد سياسة الأمن القومي[1].

الخاتمة:

تعدُّ الثقافة الاستراتيجية منظورًا بديلًا للعلاقات الدولية، نشأ مسلطا الضوء على محدودية الواقعية الجديدة في تفسير سلوك الدولة في حقبة الحرب الباردة. في الواقع، إن الثقافة الاستراتيجية هي عامل داخلي يفسر سلوك الدولة فيما يتصل بالسياسة الأمنية والسياسة الخارجية والتهديدات.

عند النظر إلى الثقافة الاستراتيجية في سياق استشراف المستقبل، تجدر الإشارة إلى أنها تُسهم في تعزيز فهم الهوية الثقافية الحقيقية لأي جهة فاعلة (سواء دولة أو منظمة) ودوره في منظومة العلاقات الدولية. وبالتالي، تُسهم في فهم أفضل للسياسة الأمنية التي تُطبقها الجهة الفاعلة، والأهم من ذلك، إن تحليل الثقافة الاستراتيجية يُسهم في فهم أفضل للسلوك الاستراتيجي للخصم بناءً على كيفية تعريفه للنصر أو الهزيمة أو الخسارة أو المعاناة. لذلك، وبفضل تحليل الثقافة الاستراتيجية، يُمكن للجهة الفاعلة وضع استراتيجيات مناسبة (مثل الردع) لتقليل الخسائر والتكاليف المحتملة في حالة النزاعات المسلحة. لذلك يواجه باحثو الثقافة الاستراتيجية مهمة استغلال المعرفة المكتسبة نتيجة النظر إلى الثقافة الاستراتيجية من أجل تقييم التحديات الجديدة حتى نتمكن من الاستعداد لها بطريقة عملية.

يكمن منطق الثقافة الاستراتيجية في الاعتقاد السائد بأن الأفكار والقيم الجماعية المتعلقة باستخدام القوة، عوامل أساسية في تصميم وتنفيذ سياسات الدول الأمنية. وقد أشار المنظرون إلى أن جوهر كل دولة أو مجتمع أمني، يكمن في مجموعة من القيم والمعتقدات المشتركة المتعلقة باستخدام القوة، وهي الثقافة الجماعية. وكما أشار "آلان ماكميلان" فإن "عملية صنع القرار في مسائل الدفاع ليست مجرد بناء قائم على اللحظة الراهنة فحسب، بل هي متجذرة في معتقدات

[1] – Tellis, A. J., Szalwinski, A., & Wills, M., Op. cit., pp. 16–17.

وتحيزات وتقاليد الهوية الثقافية لكل دولة، وكلها تغذي ثقافتها الاستراتيجية". تتشكل هذه الثقافة من خلال مراحل تكوينية في أوقات الأزمات، وتتأثر بشدة بتجارب الماضي. نعم، فالمعتقدات والمشاعر والمخاوف والأهداف والطموحات هي الجوانب غير المرئية لكل ثقافة استراتيجية. وهي القيم الأساسية التي تشكل العناصر الأساسية لها، وتمنحها جودتها وخصائصها. وسواءً عاش جميع أفراد جماعة معينة هذه التجارب أم لا، فإنها تُشكل نقاطًا مرجعية وذاكرة مشتركة. تُشكل هذه العناصر معا الثقافة الاستراتيجية لكل دولة. ونتيجةً لذلك، تُعتبر الممارسات والسياسات الأمنية نتاجا مباشرا لهذه العناصر الأساسية.

وتجدر الإشارة إلى أن ضعف الثقافة الاستراتيجية أو غيابها يعني ضعف الدولة من حيث تطبيق هذه الاستراتيجية في السياسة. وكما أشار بعض الباحثين، فإن الأمية الاستراتيجية تُحفز وتدفع الجيران إلى تبني السلوك الضار وحتى الهجوم.

قائمة لمصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية:

1- لعمراني، آسيا (2020): "لثقافة الاستراتيجية والأمن، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر. السنة الجامعية: 2019-2020. https://tinyurl.com/mr2ub22p

2- جبر، دينا محمد (2020): الثقافة الاستراتيجية وتوجهات الأمن القومي للدولة: الثقافة الاستراتيجية الصينية أنموذجًا، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد20، العدد3، ص278. https://tinyurl.com/4fxcj73x

3- قراري، رميساء؛ وحارك، فاتح (د.ت): أثر الفضاء السيبراني على تطوير وتوجيه الثقافة الإستراتيجية الروسية في البيئة الدولية، المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الإدارة والاقتصاد ونظم المعلومات، بعنوان: التحول الرقمي وأثره على التنمية المستدامة، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة، ص3. https://tinyurl.com/yvbm582b

4- عبد الله، علي ارحيم؛ وحميد، علي حسين (د.ت): الثقافة الاستراتيجية: الأصول النظرية ومقارباتها، جامعة النهرين: كلية العلوم السياسية، مجلة قضايا سياسية، العدد 78، ص331.

5- الزبيدي، فوزي حسن (2019): الثقافة الإستراتيجية؛ طرق استخدام القوة لحماية الأمن القومي، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر. https://tinyurl.com/yc5cwwxx

ثانيًا: باللغة الإنجليزية:

1- Mitręga A., & Marian Kozub, M. (2019). The Influence of strategic culture on shaping security policy. Security and Defence Quarterly. https://tinyurl.com/mrxrebs4

2- Hrytsenko, A. (2020). Strategic Culture as a National Security Policy Determinant: Ukraine's Strategic Culture Key Characteristics. Strategic Panorama. P.15. https://tinyurl.com/3adpcvtd

3- Tellis, A. J., Szalwinski, A., & Wills, M. (Eds.). (2016). Understanding strategic cultures in the Asia-Pacific. The National Bureau of Asian Research. P.7. https://tinyurl.com/34urvr2b

4- Kuznar, L. A., Heath, N., & Popp, G. (2023, August). Strategic Culture–Its History, Issues, and Complexity (Prepared for Strategic Multilayer Assessment (SMA). P.8. https://tinyurl.com/4uutftkm

5- Orlická, J. (2016). Strategic Culture as an Important Way of Security. University of Matej Bel. https://tinyurl.com/3rznn8bh

6- Jeffrey S. Lantis and Darryl Howlett. “Strategy in the Contemporary World.” Oxford University Press. Sixth edition, 2019.

7- Moore II, R. A. (1998). Strategic Culture—How it affects strategic "outputs". Strategic Issues. https://tinyurl.com/6f5zcrx

8- Margaras, V. (2004). Strategic Culture: A reliable tool of analysis for EU security developments. European Foreign Policy Conference Paper, LSE, P.1. https://tinyurl.com/54ecv3m7